

# بركات وأسرار البيت العتيق

السنة العشرون  
العدد ١٠١١ - ٢٢ / ذو القعدة ١٤٣٣ هـ  
الموافق ٩/ تشرين الأول/ ٢٠١٢ م

### محااور الموضوع الرئيسة :

١. تمهيد مع الحديث عن تسميات الكعبة
٢. مزايا الكعبة وفضائلها
٣. منزلة الكعبة عند غير المسلمين
٤. معجزات للكعبة
٥. الخاتمة في عظمة المؤمن على الكعبة

### الهدف:

اظهار فضل وأهمية البيت  
العتيق (الكعبة)

## تصدير الموضوع:

وَهَذَا لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ  
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ  
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ  
الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ  
غَفِيٌرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>

(۱) ال عمران ۹۶-۹۷

## تمهید

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَارَكَ وَشَرَّفَ أَشْخَاصاً وَأَزْمَنَةً وَأُمَكْنَةً، فَقَدْ كَرَّمَ بَنِي آدَمَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقَ وَأَصْطَفَى مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْأَزْمَنَةَ وَالْأُمَكْنَةَ وَاقْرَبِيهِ مِنْهُ وَطَاعَتِهِمْ وَجَاهَهُمْ فِيهِ، وَكَرَّمَ وَبَارَكَ أَزْمَنَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَارَكَ أُمَكْنَةً كَالْمَسَاجِدِ «بُيُوتِ اللَّهِ» وَشَرَّفَ مِنْهَا مَزِيدَ تَشْرِيفِ الْكَعْبَةِ الْمَكْرُمَةِ وَالَّتِي تَحْمِلُ تَسْمِيَاتَ عِدَّةٍ:

**فهى الكعبة:** من مادة «كعب» أي بروز خلف القدم، ثم أطلق على كل بروز، والمكعب كذلك لأنه يبارز من جهاته الأربع. والظاهر أن تسمية بيت الله بالكعبة يرجع أيضاً، إلى ارتفاعه الظاهري وبروزه، كما هو رمز لارتفاع مقامه وعظمته مكانته.

وفي الرواية: سئل النبي ﷺ: «لأي شيء سُميت الكعبة كعبة؟» قال ﷺ: «لأنها وسط الدنيا»<sup>(١)</sup>.

(١) علل الشرائع، ط ١، ص ٣٩٨، الشيخ الصدوق

**البيت العتيق:** «العتيق» مشتقة من «العتق» أي التحرر من قيود العبودية، وربما كان ذلك لأن الكعبة تحررت من قيود ملكية عباد الله، ولم يكن لها مالك إلا الله، كما خُرت من قيد سيطرة الجابرة كأبرهة. ومن معاني «العتيق» أيضاً الشيء الكريم الثمين، وهذا المعنى يتجسد في الكعبة بوضوح. ومن المعاني الأخرى للعتيق «القديم» يقول الراغب الأصفهاني: «العتيق المتقدم في الزمان أو المكان أو الرتبة». وهذا المعنى أيضاً واضح بالنسبة للكعبة، فهي أقدم مكان يُؤدّ فيه الله. وبحسب ما جاء في القرآن إنّ أول بيت وُضِعَ للناس.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «... وإنما سُمِّيَ البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق»<sup>(٢)</sup>.  
أي الغرق في زمن النبي نوح عليه السلام.

وهي البيت الحرام: قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن وجه تسميته بذلك فأجاب عليه السلام: «لأنه حرَّم على المشركين أن يدخلوه»<sup>(١)</sup>.

وَسُمِّيَتْ مَكَّةَ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْكَعْبَةُ

**أُمُّ الْقُرَى :** الروايات الإسلامية تصرّح بأن الأرض كانت في البداية مغطاة جميعها بالماء، ثم بدأت اليابسة تظهر بشكل تدريجي من تحت هذه المياه. (تؤيد النظريات العلمية الآن هذا المعنى). ثم تخبرنا الروايات بأن منطقة الكعبة كانت أول منطقة ظهرت من تحت الماء، ثم بدأت اليابسة بالإتساع من جوار الكعبة، ويعرف ذلك بدحو الأرض، عن الامام الرضا (عليه السلام) : «علة وضع البيت وسط الأرض أنه الموضع الذي من تحته دُحيت الأرض»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا يتضح أنَّ مكة هي أصل وأساس لجميع القرى والمدن على سطح الأرض، لذا فمكة قيل أم القرى ومن حولها فالمعنى سيشمل جميع

(٢) علل الشرائع، ط ١، ص ٣٩٨، الشيخ الصدوق

(٣) المائدة: ٩٧

(٤) علل الشرائع، ط ١، ص ٣٩٨، الشيخ الصدوق

(٥) بحار الانوار ج ٥٤ ص ٦٤

## مزايا الكعبة وفضائلها

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ  
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...﴾ ان هذه  
الآية المباركة تشير الى مزايا عديدة للعبة  
المشرفة:

### ١- أول بيت وضع للناس: فالكعبة أول

مركز للتوحيد، وأقدم معبد بُني على الأرض  
يُلبّد فيه الله سبحانه ويُوحد، فلم يسبقه أيُّ  
معبد آخر قبله، إنه أول بيت وضع للناس ولأجل  
خير المجتمع الإنساني في نقطة من الأرض  
محفوظة بالبركات، غنية بالخيرات، وضع  
ليكون مجتمع الناس، وملتحاقهم.

إن المصادر الإسلامية والتاريخية تحدثنا بأن الكعبة تأسست على يدي «آدم» ﷺ ثم تهدمت بسبب الطوفان الذي وقع في عهد النبي «نوح» ثم جدد بناءها النبي العظيم «إبراهيم الخليل» ﷺ.<sup>(v)</sup>

٢- مباركا: «المبارك» يعنى كثير الخير

والبركة، وإنما كانت الكعبة المعظمة مباركة لأنها تعتبر يحق واحدة من أكثر نقاط الأرض بركة وخيراً، سواء الخير المادي، أو المعنوي. ولو أنّ المسلمين لم يقصروا اهتمامهم - في موسم الحج - على الجانب الصوري لهذه الفريضة بل أحيوا روحها، والتفتوا إلى فلسفتها، لاضحت - حينذاك - البركات المعنوية، وتجلت للعيان أكثر فأكثر. هذا من الناحية المعنوية. وأما من الناحية المادية فإنّ هذه المدينة رغم أنها أقيمت في أرض قاحلة لا ماء فيها ولا عشب، ولا صلاحية فيها للزراعة والرعي بقيت على طول التاريخ واحدة من أكثر المدن عمراناً وحركة، وكانت دائماً من المناطق المؤهلة - خير تأهيل - للحياة، بل وللتجارة أيضاً.

(٦) انظر: الامثل، مكارم الشيرازي، ج ٤، ص ٣٨٣

(٧) مع أنه قد ورد أنه سمي البيت العتيق لأنه

اعتق من الغرق فى طوفان نوح ﷺ

# إليه يصعد الكلم الطيب

يسمى «دار التبابعة»<sup>(٢)</sup>.

ومثلاً آخر معروف ومشهور ونزل فيه قرآن كريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَزِمُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

فهذه المعاجز تبين أهمية هذا البيت الكبير. فالأعداء الذين استهدفوا هدم الكعبة، ونقل مركزية هذا الحرم الإبراهيمي إلى مكان آخر، قد واجهوا من العذاب ما أصبح عبرة للأجيال، مما زاد من أهمية هذا المركز المقدس. وتؤكد مشيئة الله سبحانه في جعل هذا الحرم آمناً استجابة لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام.

## الخاتمة

ولأجل ما تحمله الكعبة من عظمة وأهمية فإن أمير المؤمنين عليه السلام المولود في الكعبة المشرفة حينما تلقى الضربة السامة من اللعين الخاسر «عبد الرحمن بن ملجم» لم يقل سوى «فرت ورب الكعبة» فلقد اختصر خلق الله كله بمجراته وسمواته وأراضيه بالكعبة التي هي معلم من معالم الله ودليل على رعايته لأهل الأرض.

والدليل على خطورة أمر الكعبة اعتراف أحد رجال إنجلترا المعروفين -«كلودستون»- الذي يعتبر من السياسيين المتفوقين في عصره- الذي قال أمام جمع من المسيحيين: ما دام اسم النبي محمد ﷺ يرفع على المآذن، وما دامت الكعبة باقية وما دام القرآن يهدي ويوجه المسلمين، فلا يمكن أن تترسخ قواعد سياسة الإنجليز في الأراضي الإسلامية. ولكن رغم ذلك فإن المؤمن أعظم حرمة من الكعبة، روي أن رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة فقال: «مرحباً بالبيت، ما أعظمكم وأعظم حرمتكم على الله!؟ والله للمؤمن أعظم حرمة منك لأن الله حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء». وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة»<sup>(٣)</sup>.

فلنتق الله في المؤمنين. والحمد لله رب العالمين.

## منزلة الكعبة عند غير المسلمين:

ثم إن الكعبة مقدسة معظمة عند الأمم المختلفة فكان الهنود يعظمونها ويقولون إن روح سيفا وهو الأفنوم الثالث عندهم حلت في الحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز.

وكان الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد البيوت السبعة المعظمة وربما قيل إنه بيت زحل لقدّم عهده وطول بقائه. وكان الفرس يحترمونها الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وربما حجوا إليها زائرين.

وكان اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم وكان بها صور وتمثال منها تمثال إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزام ومنها صورتا العذراء والمسيح ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضاً كاليهود.

وكان العرب أيضاً يعظمونها كل التعظيم وتعدّها بيتاً لله تعالى وكانوا يحجّون إليها من كل جهة وهم يعدّون البيت بناءً لإبراهيم والحجّ من دينه الباقي بينهم بالتواتر.<sup>(١)</sup>

## معجزات للكعبة:

ولعظمة الكعبة عند الله تعالى ولكي يظهر شرفها باعتبارها منسوبة إليه أجرى معاجز واضحة تشير إلى قيمتها، فمثلاً يروي صاحب أعلام القرآن أن تبعاً كان أحد ملوك اليمن الذين فتحوا العالم، فقد سار بجيشه إلى الهند واستولى على بلدان تلك المنطقة. وقاد جيشاً إلى مكة، وكان يريد هدم الكعبة، فأصابه مرض عضال عجز الأطباء عن علاجه. وكان من بين حاشيته جمع من العلماء، كان رئيسهم حكيماً يدعى شامول، فقال له: إن مرضك بسبب سوء نيتك في شأن الكعبة، وسئسفي إذا صرقت ذهنك عن هذه الفكرة واستغفرت، فرجع تبع عما أراد ونذر أن يحترم الكعبة، فلما تحسن حاله كسا الكعبة ببرد يمانتي.

وقد وردت قصة كسوة الكعبة في تواريخ أخرى حتى بلغت حد التواتر. وكان تحرك الجيش هذا، ومسألة كسوة الكعبة في القرن الخامس الميلادي، ويوجد اليوم في مكة مكان

٣ - هدى للعالمين: إن الكعبة هدى للعالمين فهي تجتذب الملايين من الناس الذين يقطنون إليها البحار والوهاد، ويقصدونها من كل فج عميق ليجتمعوا في هذا الملتقى العبادي العظيم، الذي يحمل تاريخاً قديماً، يهدي الناس إلى الله تعالى بما يكتفون من أجواء روحية وثقافية. إن لهذا البيت من الجواذب المعنوية ما لا يستطيع أي أحد أن يقاومها ويصمد أمام تأثيرها الأخاذ.

٤ - فيه آيات بينات مقام إبراهيم: إن في هذا البيت معالم واضحة وعلائم ساطعة لعبادة الله وتوحيده، وفي تلك النقطة المباركة من الآثار المعنوية ما يبهير العيون ويأخذ بمجامع القلوب. وإن بقاء هذه الآثار والمعالم رغم كيد الكائدين وإفساد المفسدين الذين كانوا يسعون إلى إلزائها ومحوها من الآيات التي يتحدث عنها القرآن في هذا الكلام العلوي، فما هي آثار جليلة من إبراهيم عليه السلام لا تزال باقية عند هذا البيت مثل: زمزم والصفا والمروة، والركن، والحطيم، والحجر الأسود، وحجر إسماعيل الذي يعتبر كل واحد منها تجسيداً حياً لتأريخ طويل، وذكريات عظيمة خالدة.

٥ - ومن دخله كان آمناً: لقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربه بعد الانتهاء من بناء الكعبة، أن يجعل مكة بلداً آمناً، فاستجاب الله له، وجعل مكة بلداً آمناً، ففيه أمن للنفس والأرواح، وفيه أمن للجمع البشري التي تقد إليه وتستلهم المعنويات السامية منه، وفيه أمن من جهة القوانين الدينية، فإن الأمن في هذا البلد قد بلغ من الاهتمام به واحترامه أن منع فيه القتال منعاً باتاً وأكداً.

وقد جعلت الكعبة بالذات آمناً وملجأ في الإسلام لا يجوز التعرض لمن لجأ إليها أبداً، وهو أمر يشمل الحيوانات أيضاً إذ يجب أن تكون في أمان من الأذى والمزاحمة إذا هي التجأت إلى هذه النقطة من الأرض. فإذا التجأت إنسان إلى الكعبة لم يجز التعرض له حتى لو كان قاتلاً جانياً، بيد أنه حتى لا تستغل حرمة هذا البيت وقديستها الخاصة، وحتى لا تضيق حقوق المظلومين سمح الإسلام بالتضييق في المطعم والمشرب على الجناة أو القتلة اللاجئين إليه ليضطروا إلى مغادرتهم ثم ينالوا جزاءهم العادل.

(٢) انظر: اعلام القرآن، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ (بتلخيص).  
(٣) الخصال، الصدوق، ص ٢٧.

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٣٦١